هل أحاديث الطب النبوي وحي ؟

شرف محمود القضاة

كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، الأردن

ملخص

يتناول هذا البحث الأحاديث النبوية الواردة في الطب، وقد استعرضت أهم الآراء والأدلة لكل رأي، ورجحت أنها وحي من الله تعالى، وقد استدللت لذلك بدليلين جديدين:

أولهما: أن أحاديث الطب النبوي لم تقع في الأخطاء التي كانت شائعة في بيئة النبي صلى الله عليه وسلم وعصره، مما يدل على أنها ليست من البيئة.

ثانيهما: أن في أحاديث الطب النبوي سبق علمي في مجالات متعددة، سواء ما كان منها في خلق الإنسان، أو في المرض والوقاية والعلاج.

ولا يمكن أن يكون ذلك كله صدفة، فلا مجال إذن إلا أن تكون وحياً من عند الله .

Abstract

This paper deals with the prophetical traditions of medicine and whether they are revealed by God (wahi).

The author went through the main and different opinions and evidences that deal with this issue and concluded that such traditions are God revealed through (wahi). This conclusion is based on the two new following reasonings:

First: the prophetical medicine traditions were not trapped with the fallacies which were common in era and environment of the prophet, peace be upon him, which means that they are not opinions based on local knowledge.

Second: In these traditions, there is prophesied scientific knowledge in many aspects including man creation and prevention and cure of disease.

The conclusion is that such facts did not come by chance and therefore they cannot be but God's revelation.

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد ؛فقد كثر الكلام في هذا الموضوع، وتعددت فيه الآراء، مما أشكل على طلبة العلم، بل وعلى بعض المتخصصين، فأحببت أن أبين فيه جانب الصواب بأدلة جديدة لم تكن متاحة للسابقين، إنما – علاوة على الأدلة الشرعية –أدلة من العلم التجريبي، تلقي الضوء على هذا الموضوع، فتزيد فيه جانب الحق وضوحاً وإشراقاً، وقد رجعت إلى كل ما تيسر من الكتب والأبحاث الطبية المتخصصة، فرجعت إلى حوالي واحد وعشرين كتاباً وبحثاً، منها ثمانية لم أستطع الوصول إليها فنقلت منها من خلال غيرها من المراجع المتخصصة.

ويعد هذا الموضوع جزءاً من موضوع آخر وهو: هل في الحديث النبوي ما هو رأي للنبي ﷺ وليس وحياً؟ أم أن كل ما نطق به رسول الله ﷺ وحي من الله تعالى؟

ومع أن هذا ليس هو الموضوع الدقيق للبحث من جهة، وفيه أبحاث وكتب [1] من جهة أخرى، إلا أنني سأشير سريعاً إلى أهم الآراء في ذلك، ففي هذه المسألة رأيان مشهوران:

الرأي الأول:

أن كل ما جاء عن الرسول ﷺ وحي من الله تعالى، وقد استدل هذا الفريق بأدلة منها:

١. قال تعالى {وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحي} [2] .

ووجه الدلالة في هذه الآية وما شاكلها أن كل ما يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم وحي من الله تعالى، لا فرق بين مجال ومجال.

٢. عن عبد الله بن عمرو قال كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه فنهتني قريش وقالوا أتكتب كل شيء تسمعه؟ ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا فأمسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأومأ بإصبعه إلى فيه فقال اكتب فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق [3] .

٣. عن أبي سعيد أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال أخي يشتكي بطنه فقال اسقه عسلاً ثم أتى الثانية فقال اسقه عسلاً ثم أتاه الثالثة فقال اسقه عسلاً ثم أتاه فقال قد فعلت فقال: صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلاً فسقاه فبرأ[4].

وقال أصحاب هذا الرأي: حتى إن اجتهد النبي ﷺ فإن اجتهاده إما أن يكون صواباً فيقر عليه من الله تعالى، والإقرار نوع من الوحي، وإما أن يكون خطأ فيصوب، لأن الله تعالى لا يقر نبيه ﷺ على خطأ، والتصويب وحي من الله تعالى أيضاً، فكل ما صدر عن النبي ﷺ يكون وحياً من الله تعالى إما قبل أن يصدر من النبي ﷺ وهو السنة التوقيفية، وإما بعد أن يصدر وهو السنة التوفيقية.

الرأي الثاني:

أن في كلام النبي ﷺ ما ليس وحياً، وأشهر دليل لهم حديث تأبير النخل، فعن موسى بن طلحة عن أبيه قال مررت مع رسول الله ﷺ بقوم على رؤوس النخل فقال ما يصنع هؤلاء فقالوا يلقحونه يجعلون الذكر في الأنثى فيلقح فقال

رسول الله ﷺ ما أظن يغني ذلك شيئاً قال فأخبروا بذلك فتركوه فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه فإني إنما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني بالظن ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به فإني لن أكذب على الله عز وجل " (٥) .

وفي رواية أخرى عن رافع بن خديج: "إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر" (٦).

وفي رواية ثالثة عن أنس: "أنتم أعلم بأمر دنياكم " (٧) .

فقد ميز النبي ﷺ صراحة بين نوعين من أقواله: نوع من الدين وهو من الله تعالى-توقيفياً كان أو توفيقياً، ونوع من رأيه المحض وهو ﷺ بشر، أي يصيب ويخطئ.

وهذا مذهب ابن عباس رضي الله عنهما، فعَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ قَالَ قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ أَرَأَيْتَ هَذَا الرَّمَلَ بِالْبَيْتِ ثَلَاثَةَ أَطْوَافٍ وَمَشْيَ أَرْبَعَةِ أَطْوَافٍ أَسُنَّةٌ هُوَ؟ فَإِنَّ قَوْمَكَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ سُنَّةٌ. قَالَ فَقَالَ: صَدَقُوا وَكَذَبُوا (٨). قَالَ قُلْتُ مَا قَوْلُكَ صَدَقُوا وَكَذَبُوا قَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدِمَ مَكَّةَ فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ إِنَّ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَطُوفُوا بِالْبَيْتِ مِنَ الْهُزَالِ وَكَانُوا يَحْسُدُونَهُ قَالَ فَأَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَرْمُلُوا ثَلَاثًا وَيَمْشُوا أَرْبَعًا .. . (٩).

فقد ميز ابن عباس هنا بين السنة التشريعية والسنة غير التشريعية، أو بعبارة أخرى بين ما قاله النبي ﷺ وحياً وما قاله اجتهاداً من رأيه، ولكن عامة الصحابة لم يوافقوه على ذلك.

ولكن ما هو الحد الفاصل-عند أصحاب هذا الرأي-بين ما هو وحي وبين ما ليس بوحي؟

١- قال بعضهم ما كان من أمور الدين فهو وحي، وما كان من أمور الدنيا فهو رأي ودليلهم رواية "أنتم أعلم بأمر دنياكم".

ولكن ما هو الحد الفاصل بين أمور الدين وأمور الدنيا؟ فعلى رأي ابن عباس السابق فإن من أمور الحج ما هو من أمور الدنيا، وكما هو معلوم فإن من أمور البيع والشراء والحرب والسلم والطعام والشراب واللباس وما شاكلها ما هو من أمور الدين، وقد نزلت فيه آيات من الله تعالى، ولذلك فإن محاولة تحديد الفاصل بحسب المجالات ليس دقيقاً.

لقد أراد بعضهم أن يهدم بهذا الحديث الفرد كل ما حوته دواوين السنة الزاخرة من أحاديث البيوع والمعاملات والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وكأن الرسول ﷺ قال هذا الحديث لينسخ به جميع أقواله وأعماله وتقريراته الأخرى(١٠).

فهذا رأي خطير وبخاصة إذا فهم من "أمر دنياكم" كل ما عدا العقيدة والعبادات، وربما ما يسمى بالأحوال الشخصية، كالمعاملات المالية، والنظام السياسي، والعلاقات الدولية، والعقوبات، والتعليم، والإعلام، وغيرها، وهذا الرأي الخطير يدندن المستشرقون بشكل عام، والعلمانيون المستغربون من أبناء بلاد المسلمين.

٢- والراجح ما قاله النووي مترجماً لأحاديث تأبير النخيل حيث قال: وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره من معايش الدنيا على سبيل الرأي.

فقد جعلتُ رواياتُ حديث تأبير النخيل الرأيَ والظنّ مقابلَ الدين والتحديث عن الله.

وهكذا فإن كل ما قاله رسول الله ﷺ يعد وحياً ما لم ترد قرينة كافية تدل على أنه رأي منه ﷺ ، مهما كان المجال الذي ورد فيه الحديث.

ولم أجد من صرح بهذا بوضوح إلا الشيخ الطاهر بن عاشور حيث قال: واعلم أن أشد الأحوال التي ذكرناها اختصاصاً برسول الله ﷺ هي حالة التشريع، لأن التشريع هو المراد الأول لله تعالى من بعثته حتى حصر أحواله فيه في قوله تعالى {وما محمد إلا رسول} فلذلك يجب المصير إلى اعتبار ما صدر عن رسول الله ﷺ من الأقوال والأفعال-فيما هو من عوارض أحوال الأمة-صادرا مصدر التشريع ما لم تقم قرينة على خلاف ذلك [11].

ولو طبقنا هذا على حديث تأبير النخيل لوجدنا أن النبي ﷺ قد صرح من البداية كما في رواية طلحة بأنه من رأيه ﷺ حيث قال: ما أظن يغني ذلك شيئاً، وهذا هو حديث الباب الذي صدر به الإمام مسلم روايات الحديث، وهو أقوى الروايات كما هو معلوم من منهج الإمام مسلم في صحيحه.

أحاديث الطب:

وما أحاديث الطب إلا جزئية تندرج تحت هذه القاعدة، فالصحيح أنها وحي من الله تعالى إلا إذا جاءت قرينة تدل على أن ذلك من رأيه ﷺ.

ومن الأدلة القوية الواضحة في أحاديث الطب حديث العسل السابق فقد قال فيه النبي ﷺ : صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلاً فسقاه فبرأ.

ويبدو أن أحاديث الطب بشكل خاص لم يثر أحد حولها احتمال أنها رأي من النبي ﷺ إلا بعد قرون من البعثة النبوية، ولعل السبب في ذلك هو سيطرة النظريات الطبية التي سادت في ذلك الوقت، وقد قسمت هذه النظريات أسباب الأمراض إلى الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة، وإلى السوداء والصفراء وما شاكل ذلك، حتى ظن الناس حينها أنها من الحقائق التي لا جدال فيها، ولأن الأحاديث النبوية في الطب لا ترقى-في ظن بعضهم-إلى هذا المستوى من التقدم الطبي ظهر القول بأن هذه الأحاديث إنما هي من رأي النبي ﷺ متأثراً ببيئته وليست وحياً من الله تعالى.

وأكد بعضهم هذا بأن النبي ﷺ لم يدَّع العلم بالطب ولم يبعث لذلك. والجواب عن ذلك أن النبي ﷺ لم يدع العلم بالأجنة ولا بعث لذلك، ومع ذلك نجد في القرآن الكريم عدداً من الآيات تبين مراحل خلق الإنسان في بطن أمه بكل دقة وتفصيل كما في سورة "المؤمنون" فلماذا ننفي عن السنة النبوية شيئاً نجد نظيره في القرآن الكريم.

ولقد أصبحنا الآن في عصر تقدم فيه العلم كثيراً، وظهر من خلال ذلك إعجاز علمي لهذا الدين الذي لا تنقضي عجائبه ومعجزاته، مصداقاً لقوله تعالى "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق" [12].

ولذلك جعلت هذا البحث في تأكيد الرأي الذي رجحته وهو: أن الأصل فيما قاله النبي ﷺ أنه وحي من الله تعالى، يستوي في ذلك الطب وغيره، إلا إذا جاءت قرينة تدل على غير ذلك.

وقد ذكرت في بحثي هذا دليلين جديدين لهذا الرأي: أحدهما إجمالي، والثاني تفصيلي.

الدليل الأول (الإجمالي):

أن الطب الشعبي في كل مكان قد وقع في أخطاء كثيرة، ومن ذلك الطب الشعبي في عصر النبي ﷺ، بل إن الطب الحديث قد وقع أيضاً في أخطاء كثيرة ولا زال يقع، وهذا شأن العقل البشري القاصر، وشأن التجربة البشرية القاصرة، وإنما يتعلم العلماء في هذا المجال التجريبي من أخطائهم، **فلو كانت أحاديث الطب من بيئة النبي ﷺ فلماذا لم تقع هذه الأحاديث في الأخطاء التي كانت شائعة في بيئة النبي ﷺ وعصره؟** لماذا نجد هذه الأحاديث خالية من تلك الأخطاء الطبية سواء في المعلومات البحتة أو التشخيص أو الوقاية أو العلاج؟ وهل يمكن أن يكون خلوها من الأخطاء صدفة !!، أو هل كان عند النبي ﷺ علم تجريبي وليس وحياً يعصمه من الأخطاء التي يقع فيها غيره ؟ هل يمكن أن يكون خلوها من الأخطاء الشائعة إلا لأن هذه الأحاديث وحي من الله تعالى؟

الدليل الثاني (التفصيلي):

وهو الذي يستغرق بقية صفحات هذا البحث، ويبين بالتفصيل جوانب من السبق العلمي في الحديث النبوي في مجال الطب، وقد أحوجني ذلك إلى قراءة كتب كثيرة، أبحث وأقارن وأمحص وأختار، لأن في كتب الطب النبوي القديمة كثيراً من المعلومات الطبية غير الصحيحة، كما أن في الكتب الطبية الحديثة التي تستشهد بالأحاديث النبوية كثيراً من الأحاديث غير الصحيحة.

وقد سجلت في هذا البحث ما جاء في صحيح الحديث النبوي من سبق علمي لا يمكن أن يكون من عند محمد ﷺ وهو النبي الأمي، ولا يمكن أن يكون من بيئته وهي بيئة أمية لم تكن فيها العلوم الطبيعية متقدمة، كما لا يمكن أن يكون ذلك من معلومات عصره، فإن ما ذكرته من أمثلة لم يكتشفها العلماء إلا بعد أكثر من ألف ومائتي سنة، فمنها ما اكتشف في القرن التاسع عشر، ومنها ما لم يكتشف إلا في القرن العشرين، مما يدل على أنها لا يمكن أن تكون إلا من عند الله تعالى، مما يعطي أدلة جديدة على أن هذا الدين هو الحق الذي لا مرية فيه.

ومما هو معلوم أن الحديث النبوي لم يأت ليقدم للناس علوماً طبيعية متخصصة، وإنما وردت فيه مجموعة من الحقائق العلمية قبل اكتشافها على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر.

وشرطي فيما سأذكر من أمثلة:

١- أن أقتصر على الأحاديث القوية فقط لأنه لا حجة في غيرها.

٢- أن لا أعتمد على غير كتب الأطباء وأبحاثهم في المجال الطبي، فإن هناك كتباً وأبحاثاً لغير المتخصصين، وفيها كثير من المبالغة وعدم الدقة.

٣- أن لا أتعرض للحِكَم العلمية التشريعية في الحديث النبوي كالحِكَم العلمية في الطهارة والصلاة والصيام وغيرها، فذلك موضوع طويل جداً لا يتسع له بحث، وإنما يحتاج إلى كتب، وقد بدأت تظهر فيه بعض الكتب المتخصصة، والحمد لله تعالى، وقد أشرت إلى أهمها في مراجع البحث.

٤- أن لا أتطرق أيضاً إلى التفسير العلمي للأحاديث التي سأستشهد بها، وإنما سأبين فقط ما فيها من إعجاز علمي.

٥- أن أقتصر على ما اختص به الحديث النبوي من إعجاز علمي دون ذكر لما شارك فيه الحديث القرآن الكريم، لأن ما ورد ذكره في القرآن الكريم وفي السنة ربما كان ذكر النبي ﷺ له اعتمادا على القرآن الكريم وليس وحياً مستقلاً.

وقد قسمت الموضوع إلى قسمين: أولهما: ما جاء في خلق الإنسان، وثانيهما: ما جاء في المرض والوقاية والعلاج.

القسم الأول: الأحاديث النبوية في خلق الإنسان

- ماء المرأة:

عن أنس أن عبد الله بن سلام بلغه مقدم النبي ﷺ المدينة فأتاه يسأله عن أشياء فقال إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي .. وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال : .. وأما الولد فإذا سبق ماءُ الرجل **ماءَ المرأة** نزع الولدَ وإذا سبق **ماءُ المرأة** ماء الرجل نزعت الولدَ قال أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله [١٣].

وفي رواية أخرى عن عبد الله بن مسعود قال مر يهودي برسول الله ﷺ وهو يحدث أصحابه فقالت قريش يا يهودي إن هذا يزعم أنه نبي فقال لأسألنه عن شيء لا يعلمه إلا نبي قال فجاء حتى جلس ثم قال يا محمد مم يخلق الإنسان قال يا يهودي **من كل يخلق من نطفة الرجل ومن نطفة المرأة** [١٤].

يتحدث هذا الحديث النبوي وغيره من الأحاديث النبوية عن حقيقة علمية لم تعرف إلا قبل قرن واحد فقط، وهي أن للمرأة ماء كما أن للرجل ماء، وأن الجنين يخلق من مائهما، في وقت كانت نظرية أرسطو في تكوين الجنين هي النظرية السائدة بين العلماء منذ القرن الرابع قبل الميلاد وحتى القرن السابع عشر الميلادي، وهي أن الجنين يخلق خلقاً كاملاً من دم الحيض، وأن دور ماء الرجل يقتصر على عقد دم الحيض كما تعقد الأنفحة اللبن وتجعله جبناً.

وبعد اختراع المجهر في القرن السابع عشر واكتشاف كل من الحوين المنوي والبييضة برز الصراع بين نظريتين: نظرية تقول بأن الجنين مخلوق خلقاً كاملاً وموجود بصورة مصغرة دقيقة في الحيوان المنوي، وأن المرأة ليس لها دور إلا في حمل الجنين وتغذيته، وأخرى تقول بأن الجنين مخلوق خلقاً كاملاً في البييضة وأن دور الحوين المنوي إنما هو دور مساعد فقط، واستمر الصراع بين هاتين النظريتين حتى ظهرت في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي النظرية التي تقول بأن كلا من الحوين المنوي والبييضة يساهم في تكوين الجنين، ثم أمكن إثبات ذلك في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، ولم يتأكد ذلك بما لا يدع مجالاً للشك إلا في القرن العشرين [١٥].

وقد كان العلماء المسلمون يرفضون نظرية أرسطو، وكانوا يقولون بخلق الجنين من كل من ماء الرجل وماء المرأة، وذلك استناداً إلى الأحاديث النبوية، فهذا ابن حجر العسقلاني قبل ستة قرون يقول: وزعم كثير من أهل التشريح أن مني الرجل لا أثر له في الولد إلا في عقده، وأنه إنما يتكون من دم الحيض، وأحاديث الباب تبطل ذلك [١٦].

وهكذا لم تعرف نظرية خلق الجنين من كل من ماء الرجل والمرأة إلا في القرن الثامن عشر الميلادي، ولم تثبت إلا في القرن التاسع عشر، أي بعد العصر النبوي بثلاثة عشر قرناً، فمن أين لمحمد ﷺ هذه المعلومات؟ إنها لا يمكن أن تكون من معلوماته، بل ولا من معلومات بيئته، بل ولا يمكن أن تكون من معلومات عصره، إنها لا يمكن أن تكون إلا وحياً من عند الله الخالق سبحانه وتعالى.

بل إن الحديث كما رواه الإمام مسلم يعطي صفة أخرى لماء المرأة لم يعرفها العلماء إلا في القرن العشرين وهي أن ماء المرأة أصفر، فقد تبين أن السائل الذي يحمل البيضة أصفر اللون [١٧]، كما أنه من المعروف أن السائل الذي يحمل الحوين المنوي أبيض ثخين، فعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: كنت قائماً عند رسول الله ﷺ فجاء حبر من أحبار اليهود فقال: جئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان .. جئت أسألك عن الولد قال: **ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر** [١٨].

ويعد هذا إعجازاً علمياً في الحديث النبوي الشريف، لا يمكن لبشر أن يعرفه إلا بعد اكتشافه في القرن العشرين، فأنى لمحمد ﷺ أن يعرفه بدون وحي؟ إنه بلا أدنى شك كلام الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

– العزل:

عن أبي سعيد الخدري قال: سئل رسول الله ﷺ عن العزل فقال: **ما من كل الماء يكون الولد وإذا أراد الله خلق شيء لم يمنعه شيء** [١٩].

إن في هذا الحديث النبوي إعجازاً علمياً من جانبين:

الأول: أن أحداً لم يكن يعلم قبل -القرن العشرين- أن الجنين يخلق من حوين منوي واحد فقط، بينما تحتوي القذفة الواحدة من مني الرجل على مائتين إلى ثلاثمائة مليون حوين منوي في المعدل، يكون حوالي عشرون بالمائة منها غير صالح للتلقيح، ثم يموت في المهبل عدد كبير منها، ثم يموت على عنق الرحم عدد آخر ثم تذهب مجموعة منها إلى قناة الرحم اليمنى والباقي إلى قناة الرحم اليسرى وهي لا تدري في أي منهما تكون البييضة، ولا يصل منها في النهاية إلا حوالي خمسمائة، ولا يقع الاختيار إلا على واحد منها فقط [٢٠].

الثاني: أن موانع الحمل كالعزل وما شابهها لا تحول بشكل كامل دون الحمل، فلكل طريقة من طرق منع الحمل نسبة فشل، فمن المعلوم طبياً أن نسبة الفشل في العزل حوالي ٢٢ % بسبب عدم القدرة على التحكم في الإنزال، أو أن بعض الحوينات المنوية تنزل قبل الإنزال أو لأسباب أخرى لا مجال لذكرها هنا، بل إن نسبة الفشل في منع الحمل بواسطة قطع قناتي الرحم وربطهما عن طرق المهبل تصل إلى ٥٥ %، وأما إذا كانت عن طريق فتح البطن وبواسطة جراح ماهر فإن نسبة الفشل تتدنى إلى ١ % - ٤ % فقط ، في حين تصل نسبة الفشل في

اللولب إلى ٦ %، وتصل في طريقة تنظيم الجماع إلى حوالي ٤%، في طريقة حبوب منع الحمل إلى حوالي ٢,٥% وهكذا [٢١].

– **استقرار النطفة:**

عن حذيفة بن أسيد يبلغ به النبي ﷺ قال يدخل الملك على النطفة **بعد ما تستقر في الرحم** بأربعين أو خمسة وأربعين ليلة [٢٢].

إن في هذا الحديث إعجازاً علمياً حيث يبين أن النطفة تكون متحركة في مرحلتها الأولى ثم تستقر في الرحم، وقد بين العلم الحديث أن الحوين المنوي إذا لقح البييضة تحركا باتجاه الرحم حتى تنغرز فيه وتستقر، وتنتهي رحلتها التي تستغرق حوالي أسبوعا من قناة الرحم إلى الجهة العلوية من جدار الرحم، وهذا ما لم يعرفه العلماء المتخصصون إلا في منتصف هذا القرن تقريباً، فلا شك أن هذه المعلومات ليست من مصدر بشري، وإنما هي من الله سبحانه وتعالى [٢٣].

– **المسخ لا نسل له:**

عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ وذُكرت عنده القردة .. والخنازير من مسخ فقال: **إن الله لم يجعل لمسخ نسلاً ولا عقباً** وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك [٢٤].

يدل هذا الحديث على أن المسخ لا يتناسل، وهذه حقيقة علمية في الإنسان والحيوان، ونحن لم نر مثل حالات المسخ التي ذكرت في الحديث وهي أن يتحول إنسان إلى حيوان، ولكننا نرى حالات من المسخ النسبي أو الجزئي وقد ثبت علمياً أنها لا نسل لها فكيف بحالات المسخ التام.

فقد ثبت أن المسخ في الأجنة له حالات بعضها أشد من بعض، فالأجنة ذات المسخ الشديد إما أن تولد ميتة، أو تعيش لبضعة أيام ثم تموت، فكيف لها أن تنجب؟ وإذا كان المسخ أخف فإنه غالباً يعيش ولكنه أيضاً لا ينجب ، وذلك مثل المسخ في الكرومسومات الجنسية، فالأصل أن الإنسان في الوضع الطبيعي يحمل زوجاً من الكرموسومات الجنسية، فإن كان ذكراً كان يحمل (x y) وإن كانت أنثى فإنها تحمل (x x)، أما ما عدا ذلك فهي حالة مسخ، ومن ذلك حالة (ترنر) التي لا يوجد فيها إلا كروموسوم واحد للجنس وهو الكروموسوم الأنثوي X فإن هذه الحالة تظهر أنثى ولكنها لا تحمل ولا تلد مطلقاً، وكذلك حالة (كلينفلتر)، إذ يكون كروموسوم الجنس (XXY) أي يحمل شارتين أنثويتين وشارة واحدة مذكرة، فإن هذه الحالة تبدو ذكراً شكلاً ولكنه عقيم لا ينجب ولا نسل له [٢٥].

الجنين في الأسبوع السابع:

عن عبد الله بن مسعود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال يا رب أذكر أم أنثى فيقضي ربك ما شاء** [٢٦].

وفي رواية حذيفة بن أسيد: **فيقول يا رب أذكر أو أنثى فيجعله الله ذكراً أو أنثى ثم يقول يا رب أسوي أو غير سوي فيجعله الله سوياً أو غير سوي** (٢٧).

يكون الجنين البشري في الأسابيع الأولى مشابها لأجنّة الحيوانات الثديية، ولكنه يبدأ بأخذ شكله البشري المتميز عن بقية الأجنة في الأسبوع السابع من عمره .. ويبقى الجنين تشريحياً ومخبرياً محايداً جنسياً حتى الأسبوع السابع، ولا يمكن تمييز الذكر عن الأنثى، إذ إن المناسل الابتدائية ما تزال غير متمايزة إلى خصيات أو مبايض، ولكنها تبدأ بالتمايز في الأسبوع السابع، ولكن لا يمكن تمييزه بسهولة من خلال الأعضاء الخارجية إلا في الأسبوع الثاني عشر .. ومصير الجنين من حيث التشوه أو عدمه يتحدد بشكل عام في الأسبوع السابع كذلك، إن هذا الحديث الذي ردده المؤمنون منذ أربعة عشر قرناً إنما هو معجزة من معجزات الصادق الأمين ﷺ، فكأنما هو عالم أجنة في الستينيات من هذا القرن (٢٨).

القسم الثاني: الأحاديث النبوية في المرض والوقاية والعلاج

- السواك:

قالت عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم: **السواك مطهرة للفم** مرضاة للرب (٢٩).

وأول ما يقصد بالسواك عود الأراك بخاصة فهو أكثر ما كان يستاك به النبي صلى الله عليه وسلم، وتناقله المسلمون جيلا بعد جيل، والأحاديث الصحيحة في الحث على التسوك بعود الأراك كثيرة، ولكن هذا الحديث يتميز ببيان فائدة صحية لم تكن معروفة زمن النبي ﷺ ولا بعده بقرون طويلة، وإنما أثبتتها الأبحاث الحديثة في نهاية القرن العشرين، وهذه الفائدة هي تطهير الفم، وقد كان يفهم ذلك بمعنى تنظيفه، ولكن العلم كشف عن معنى جديد للتطهير وهو تطهير الفم من الجراثيم.

إن الفم يحتوي على أعداد هائلة من الجراثيم تزيد على مائة نوع من الجراثيم البكتيرية والفيروسية والطفيلية، وتقدر أعدادها بالملايين وربما بالبلايين في الملمتر المكعب الواحد من اللعاب، وهي تتضاعف في كل ساعة تقريباً، وتؤثر على رائحة الفم ولون الأسنان (٣٠).

وتتكون على الأسنان لويحة جرثومية تلتصق بها، وتتكون سريعاً وخلال أقل من ساعة من تنظيف الأسنان، ويزداد سمكها مع مرور الوقت إذا لم يتم إزالتها، وهذه اللويحة هي المسؤولة عن أمراض اللثة ونخر الأسنان لما تحتويه من بلايين الجراثيم، ولا علاقة لهذه اللويحة بالأكل وفضلات الطعام-كما يظن عامة الناس-فهي دائمة التكون، ولذلك لا بد من إزالتها بشكل متكرر أي كل أقل من ساعة، ولا يتيسر هذا باستعمال فرشاة الأسنان، وهنا يبرز إعجاز آخر وهو أن النبي ﷺ كان يتسوك كثيراً حتى كلما استيقظ من النوم، فعن حذيفة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك (٣١). وهذا ما حثت عليه السنة النبوية، فقد حثت على التسوك عند كل وضوء وعند كل صلاة دون تفريق بين المفطر والصائم، وعند النوم والاستيقاظ وعند تغير رائحة الفم (٣٢).

ويعد السواك وبخاصة بعود الأراك واسطة لتنظيف الأسنان وتدليك اللثة، وبغير ذلك فإن الإنسان يصاب بعدد من الأمراض منها: تسوس الأسنان والقلح وهو ترسب الأملاح الكلسية على الأسنان، والتهابات الفم واللثة، والتهاب اللوزتين وغيرها.

ويتميز السواك المتخذ من عود الأراك بما يلي:

١- يتميز بأليافه الدقيقة اللطيفة التي تقوم بتنظيف الأسنان وإزالة الفضلات.

٢- احتواؤه على مواد منظفة وبلورات السيليس، وأملاح معدنية ومواد صمغية ونشاء.

٣- احتواؤه على مواد كيميائية مضادة للعفونة وقاتلة للجراثيم، فهو يحتوي على مادة شبيهة بالبنسلين، ويحتوي مادة السنجرين وهي ذات تأثير شديد على الجراثيم، ويكثر فيه حمض العفص وهو قاتل للجراثيم ومطهر قوي ويشفي جروح اللثة والتهاباتها (٣٣).

وتصبح هذه المواد أكثر فاعلية باتحادها مع اللعاب، ولقد بين رودات مدير معهد علم الجراثيم والأوبئة في جامعة روستوك في ألمانيا أنه وضع مسحوق عود الأراك المبلل على مزارع المكورات العنقودية وهي أهم الجراثيم الموجودة في الفم فتبين أنه يقوم بما يقوم به البنسلين.

٤- في سواك الأراك مادة عطرية زيتية منحلة تعطي الفم رائحة زكية وطعما حسنا. من أجل تلك الفوائد يحسن بأن تؤخذ خلاصته ويدخل في المستحضرات السنية (٣٤).

٥- احتواؤه على مادة الفلورايد التي تتفاعل مع إحدى مكونات سطح الأسنان فتقاوم المفرزات البكتيرية الضارة، كما يقاوم الفلورايد التسوس، ويقلل من نمو البكتيريا، ويحتوي السواك كذلك على مادة السليكون التي تساعد على إزالة الفضلات والألوان المترسبة على الأسطح الخارجية (٣٥).

وهذا ما أثبتته دراسة طبية عام ١٩٨٠ على ٨٨٧ شخصا يستخدمون السواك ، فكانت النتيجة أن ٨٣,٧ % منهم لا يعانون من فقد أسنانهم، وكانت نسبة التسوس في الأسنان قليلة ، وقد قامت إحدى شركات الأدوية في سويسرا بعد إجراء الأبحاث اللازمة باستخلاص المادة الفعالة من عود الأراك وتصنيعها بشكل معجون للأسنان، وقد طرحت في الأسواق منذ نهاية الثمانينيات (٣٦).

٦- وبعد كل هذه الفوائد فإن للسواك ميزة عملية لا تكاد تتوفر في غيره، وهي أنه يمكن حمله في الجيب، واستعماله بسهولة في أي مكان دون الحاجة إلى معجون، فإن السواك هو الفرشاة وهو المعجون، ولا يحتاج الشخص بعد استعماله إلى المضمضة بالماء كما في حالة استعمال الفرشاة والمعجون، وبذلك يستطيع الشخص استعماله كل ساعة أو أقل أينما كان، وهي ميزة في غاية الأهمية، فيكون المسلم بذلك جامعاً بين الفوائد الصحية والأجر الديني.

يأتي هذا الحديث في عصر كان فيه الرومان-على سبيل المثال-ينظفون أسنانهم وأفواههم بالتمضمض بالبول !! وكانوا يفضلون البول الإنساني، فإن لم يتيسر استخدموا بول الثيران، وقد استمرت هذه العادة في أوروبا حتى القرن السادس عشر الميلادي (٣٧).

- الاستيقاظ باكراً:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب كل عقدة عليك ليل طويل **فارقد فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة فإن توضأ انحلت عقدة فإن صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطاً طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان** (٣٨).

يبين هذا الحديث أهمية الاستيقاظ الباكر ثم الوضوء والصلاة، وقد تبين أن ذلك يعيد الدورة الدموية والتنفس إلى نشاطهما، وذلك من خلال حركة الوضوء وما فيه من غسل وتدليك، ومن خلال حركات الصلاة من وقوف وركوع وسجود وقعود ونهوض، وبالتلاوة والتسبيح والدعاء، زيادة على الأثر النفسي الطيب الذي يحظى به الإنسان بعد أداء الصلاة وشعوره بلذة التقرب إلى الله ، وهذا كله كان يدركه المسلمون السابقون.

ولكن الجديد في الموضوع هو ما كشف عنه العلم الحديث من أن الاستيقاظ باكراً والخروج إلى صلاة الفجر يجعل الإنسان يكتسب من هواء الفجر النقي الغني بغاز الأوزون، وهو غاز ناتج عن تكاثف ثلاث ذرات من الأوكسجين، ويعتبر من المطهرات، إذ يقوم بتعقيم الجو وما لامسه، ومن المعلوم أن إحدى طرق تعقيم المياه في مصافيها هو غاز الأوزون، كما أن للأوزون تأثيراً مفيداً للجهاز العصبي والمشاعر النفسية العميقة والنشاط العضلي والفكري، وأكثر ما يكون الجو الأرضي غنياً بهذا الغاز هو وقت الفجر ثم يبدأ بالانخفاض حتى يتلاشى مع طلوع الشمس (٣٩).

- الحبة السوداء:

عن عائشة رضي الله عنها أنها سمعت النبي ﷺ يقول إن هذه **الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا من السام** قلت وما السام قال الموت (٤٠).

وفي معنى الحبة السوداء آراء، فقيل الشونيز وهو تفسير الزهري كما عند البخاري، وهو الكمون الأسود كما رجحه ابن حجر وقال هو قول الأكثر، ثم قال: ويقال له الكمون الهندي، وقيل الخردل، وقيل ثمرة البُطْم، وقيل صمغ شجرة الكمكام (٤١)، والراجح في الحبة السوداء أنها ما يسمى في عصرنا حبة البركة، وهي ما كان يسمى الكمون الأسود، وذلك لما يلي:

١- لأن لونها أسود، بينما الكمون العادي المعروف في زماننا والبطم والخردل ليست سوداء اللون.

٢- لأنه رأي الأكثر.

٣- لأن الأبحاث الطبية الحديثة ترجح ذلك أيضاً.

وإليك بعض ما أثبتته الأبحاث العلمية

- علاج حالات الربو القصبي والسعال والنزلات الشعبية (٤٢)، فقد تمكن فريق من الباحثين في مصر وعلى رأسهم الدكتور محمد المحفوظ والدكتور محمد الدخاخني من فصل المركب الفعال لزيت الحبة السوداء في حالة نقية وخالية من التأثيرات المهيجة للأغشية، وأثبتوا خلو المركب من أي تأثير سام أو ضار، مما يشجع على إعطائه

لكافة المرضى، وبخاصة أصحاب الضغط المرتفع الذين لا تناسبهم الأدوية الفعالة للربو، وحضر هذا المركب بشكل نقط ثم بشكل أقراص (٤٣).

- تخفيض ضغط الدم، فقد ثبت أن تفل الحبة السوداء بعد عصرها يساعد على تخفيض ضغط الدم كما قال الدكتور الظواهري في محاضرته في المؤتمر الصيدلاني العالمي الثالث والعشرين الذي انعقد في مدينة مونستر بألمانية (٤٤).
- الحبة السوداء مضاد حيوي ، فقد أثبت الدكتور حافظ جنيد المتخصص في الكيمياء الحيوية أثناء تجاربه على العصيات الدقيقة أن هذه الأنواع من الجراثيم لا تستطيع النمو في وسط غذائي يحوي على الحبة السوداء، مما يدل على أن الحبة السوداء تحوي مضادات حيوية أوقفت نمو هذه الجراثيم(٤٥).
- علاج التليف الكبدي، فقد أشرف الدكتور سالم نجم أستاذ الأمراض الباطنية في كلية طب الأزهر على رسالة دكتوراه قام فيها الباحث بإجراء البحث على ثلاثين مريضاً بالتليف الكبدي، وقد أعطي هؤلاء المرضى يومياً خمسة غرامات من الحبة السوداء، وبعد شهرين تبين ازدياد عدد الخلايا اللمفاوية القاتلة بنسبة كبيرة، وازدادت كميات المؤشر البروتيني، وحدث تحسن ملحوظ وانخفاض في خمائر الكبد، واختفاء الأعراض المرضية في المجموعات التي تناولت الحبة السوداء مقارنة بالمجموعات الأخرى، فقد نشطت الحبة السوداء الخلايا الكبدية وأوقفت تدميرها (٤٦).

ولكن كل ذلك يدل على أن في الحبة السوداء شفاء من بعض الأمراض لا من كل الأمراض، ولذلك فإن الإعجاز العلمي في الحديث بقي غير واضح حتى بدأت الأبحاث تتجه في اتجاه آخر حيث بدأ يفكر الباحثون في معنى كون الحبة السوداء شفاء من كل داء، وتبين أن للحبة السوداء تأثيراً كبيراً في تنشيط أجهزة المناعة في الجسم (٤٧)، وقد قام الدكتور أحمد القاضي الذي يرأس مؤسسة الطب الإسلامي في الولايات المتحدة الأمريكية بإعطاء مجموعة من الأشخاص جراماً واحداً من الحبة السوداء لكل منهم صباحاً ومساء كل يوم، وبعد مدة من الزمن ارتفعت الخلايا القاتلة للجراثيم بنسبة ٧٣ %، في حين ارتفعت الخلايا المساعدة على القضاء على الجراثيم بنسبة ٧٢ %، وبعد تحضير وصفة من الحبة السوداء والعسل والثوم زيادة على رفع المعنويات ارتفعت الخلايا القاتلة للجراثيم بنسبة ٣٠٠ %، في حين ارتفعت الخلايا المساعدة بنسبة ٢٠٠ %، واعترف بذلك اتحاد الجمعيات الأمريكية للعلوم الحيوية التجريبية (٤٨).

وبذلك تكون الحبة السوداء شفاء من كل داء فإن أجهزة المناعة إذا كانت نشيطة كانت وقاية للإنسان من الأمراض ومساعدة له على الشفاء.

- الخمر داء وليست بدواء:

عن وائل الحضرمي أن طارق بن سويد الجعفي سأل النبي ﷺ عن الخمر فنهاه .. فقال إنما أصنعها للدواء فقال: **إنه ليس بدواء ولكنه داء** (٤٩).

كان يظن في السابق أن أضرار الخمر إنما هي إزالة العقل بصفة مؤقتة علاوة على بعض الأضرار الاجتماعية والاقتصادية، بل إنه وحتى عهد قريب كان يظن أن لها بعض الفوائد الصحية، حتى جاءت الأبحاث الحديثة تثبت أنها داء وليست بدواء كما حدثنا بذلك رسول الله ﷺ، وهذا بعض ما كشفته الأبحاث في عصرنا [٥٠]:

١- أن الخمر تقوم بتثبيط عمل عضلة القلب، فيقل ضخ الدم، وتزيد سرعة دقات القلب، وترفع الضغط الانقباضي، فيؤدي إلى توسع الأوعية الدموية، فيحدث شعوراً كاذباً بالدفء، في حين تنخفض درجة حرارة الجسم في الحقيقة، فتضطرب المراكز المنظمة للحرارة مما يؤدي-وبخاصة في المناطق الباردة- إلى الموت.

٢- انقباض الأوعية الدموية في المخ، فينخفض تدفق الدم فيه عن الحد الضروري، مما يؤدي إلى حرمان بعض خلايا المخ العصبية من الأوكسجين، مما يجعلها لا تقوم بوظائفها، أو تموت علما أنها من الخلايا التي لا يعوضها الجسم، وربما أدى ذلك في بعض الحالات إلى ما يشبه السكتة الدماغية والوفاة.

٣- زيادة الدهنيات الضارة في الدم مما يؤدي إلى ارتفاع حدوث الجلطة.

٤- إن الإدمان يسبب التهاب المعدة المزمن، مما قد ينتج عنه فقر الدم الخبيث.

٥- يسبب الإدمان كذلك أمراضاً للكبد تقلل من قدرتها على القيام بمهامها، وتتضخم، كما ترتفع بين المدمنين حالات تشمع الكبد.

٦- قد يزيد الخمر من الشهوة الجنسية، و لكنه في الحقيقة يقلل من القدرة الجنسية.

٧- كما أثبتت الأبحاث التأثير الخطير للخمور على الجنين، حيث ترتفع كثيراً التشوهات الخلقية كتوقف نمو الدماغ وصغر حجمه مما يؤثر كثيراً على الذكاء.

هذا بعض ما اكتشف من أضرار الخمر، وصدق رسول الله ﷺ إنها داء وليست بدواء.

- الحجر الصحي:

عن أسامة بن زيد عن النبي ﷺ أنه قال: إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها **وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها** [٥١].

كان كثير من الناس منذ القديم يبتعدون عن المريض مرضاً معدياً مخافة أن يصابوا بالمرض عن طريق العدوى، وكانوا يخافون الدخول إلى بلد فيه وباء، و لم يكونوا يعرفون كيف ينتقل المرض من المريض إلى السليم لأن الجراثيم لم تكن مكتشفة، وهذا هو الشطر الأول من الحديث، وليس فيه إعجاز علمي، ولكن الجديد في الحديث الذي يعد إعجازاً علمياً و لم يكن يخطر على بال الناس في ذلك الوقت هو أن الشخص السليم ظاهرياً يمكن أن يكون حاملا للمرض بأن تكون جراثيم المرض في دور الحضانة أو في دور النقاهة، أو أن يكون ذا مناعة من ذلك المرض، وأن هذا الحامل للمرض يمكن أن ينقل المرض للشخص السليم، وأن الحل الصحي الصحيح الواجب اتباعه هو أن يفرض الحجر الصحي على

كل من كان في المنطقة الموبوءة فلا يسمح لأحد بالخروج منها، وهذا هو ما جاء به الحديث النبوي الشريف قبل حوالي اثني عشر قرناً من اكتشاف الجراثيم (٥٢).

– **العسل:**

عن أبي سعيد الخدري قال جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال إن أخي استطلق بطنه فقال رسول الله ﷺ: اسقه عسلاً فسقاه ثم جاءه فقال إني سقيته عسلاً فلم يزده إلا استطلاقا فقال له ثلاث مرات ثم جاء الرابعة فقال اسقه عسلاً فقال لقد سقيته فلم يزده إلا استطلاقا فقال رسول الله ﷺ: صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فبرأ (٥٣).

تُعرف أهمية العسل الغذائية والعلاجية بشكل عام منذ زمن بعيد جداً، وقد قرر القرآن الكريم ذلك، ولكن الحديث النبوي يقرر أهمية العسل في مرض بعينه من أمراض الجهاز الهضمي، ويأتي العلم الحديث شاهداً على ذلك.

ويرجح الدكتور محمود النسيمي من خلال دراسة الأحاديث أن الإسهال الذي ذكر في الحديث ناتج عن تخمة أو عن عفونة خفيفة، وفي كلتا الحالتين يعد العسل الدواء المناسب وبخاصة في عصرهم، ففي حالة التخمة يعطى المريض مليناً مناسباً وذلك لدفع آثار الانسمام الغذائي المتبقي في أمعاء المريض، ويعد العسل مليناً، كما يمتاز بآثار مطهرة للأمعاء، كما أنه غذاء جيد للكبد يزيد من تعديلها لسموم الجراثيم ويحميها من آثار الانسمام الغذائي، وأما في حالة التخمة فتعالج أيضاً بالمسهلات المناسبة، زيادة على مضادات الجراثيم المناسبة، وقد ثبت مؤخراً أن العسل يقضي على كثير من أنواع الجراثيم، فهو يحتوي على ماء أوكسجيني وهو من مبيدات الجراثيم، وهكذا فإننا نلاحظ ثلاث ميزات في الوصفة النبوية للحالة المذكورة لا توجد في غير العسل وهي:

١- المعالجة المثلية، وهي معالجة الإسهال بمسهل ، وذلك لدفع الفضلات ومحتوى الأمعاء الفاسدة والانسمام الغذائي في التخمة، أو طرد المحتوى المتعفن بتكاثر الجراثيم في عفونة الأمعاء.

٢- أن العسل ملين متوسط مناسب لا يخرش الأمعاء.

٣- أن في العسل مواد مطهرة تؤثر على الجراثيم فتثبط نموها وتقتل بعض أنواعها، وإن الخواص المطهرة للأمعاء في العسل لم تكتشف إلا في الثلث الثاني من القرن العشرين (٥٤).

وقد نشرت المجلة الطبية البريطانية عام ١٩٨٥م دراسة عن استعمال العسل في معالجة التهاب المعدة والأمعاء عند الأطفال، وقد بينت الدراسة أن إعطاء العسل مع المحلول المستعمل في معالجة الإسهالات ينقص مدة الإسهال الجرثومي.

– **أمراض جنسية حديثة:**

عن عبد الله بن عمر قال أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون **والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم** الذين مضوا (٥٥).

في هذا الحديث إعجازان: إعجاز بالإخبار عن المستقبل، وإعجاز علمي يربط بين الفاحشة من زنا ولواط وبين ظهور بعض الأمراض التي لم تكن موجودة في السابقين.

لقد ظهرت الفاحشة في عصرنا ظهوراً لم يعرفه العالم من قبل، فقد زال في الغرب مثلا أي إحساس بالخجل من ممارسة الجنس الحرام، بل أصبح من العار عندهم أن لا يمارس الشاب أو الفتاة الجنس قبل الزواج، بل لقد أقيمت للشذوذ النوادي والنقابات والصحف والمجلات والشواطئ وقرى العراة، بل إن بعض الكنائس تعقد الزواج للشاذين(٥٦).

والعالم الآن يئن من وطأة الأمراض الجنسية التي زادت حتى الآن على ثلاثين مرضاً، وأصبحت تتصدر قائمة الأمراض المعدية، إذ يصاب بها في العام الواحد أكثر من سبعمائة وخمسين مليونا من الشباب والفتيات ولا شك أن على رأس هذه الأمراض وأكثرها خطراً الإيدز الذي ظهر في عام ١٩٨١م ويصاب به حسب إحصائيات منظمة الصحة العالمية عن عام ٩٧ التي أعلنتها عام ٩٨ حوالي ستة ملايين سنوياً، وهو مرض نقص المناعة المكتسب، إذ يفقد الجسم مناعته ويصبح عرضة لفتك الجراثيم بكل أنواعها ويستمر الأمر كذلك حتى الموت بعد أشهر أو سنوات، وكانت بدايته بين الشاذين، فقد بلغت نسبتهم من المصابين أكثر من ٧٠%.

ومن هذه الأمراض الزهري الذي ظهر في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي، ويصاب به حوالي خمسين مليون سنوياً، حيث يسبب الشلل والعمى والتشوهات الخطيرة والآلام المبرحة، ومنها السيلان الذي تبلغ الحالات المسجلة فقط حوالي مائتين وخمسين مليونا سنوياً (٥٧).

وزيادة على هذه الأمراض الجنسية الخطيرة ثبت أن للواط علاقة وطيدة بالتهاب الكبد الوبائي (ب)، فقد تبين أن فيروس هذا المرض الخطير يكون موجوداً في اللواطيين بنسبة ٥ % في بريطانيا، في حين أن نسبته في غيرهم لا تتجاوز ٠.٢ %، أي إن نسبته في اللواطيين تتضاعف خمسة وعشرين مرة عنها في غير اللواطيين (٥٨).

– حديث الذبابة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه **فإن في أحد جناحيه شفاء وفي الآخر داء** (٥٩).

حديث الذبابة هذا من أكثر الأحاديث التي ثار حولها الجدل وبخاصة في العصر الحديث، وقد عده بعضهم من الأدلة على عدم ضبط المحدثين، وعلى أن في صحيح البخاري أحاديث غير صحيحة، ولكن مع التقدم العلمي وبعد إنعام النظر تبين أن الحديث ليس صحيحاً فقط، بل وفيه إعجاز علمي من زاويتين:

الأولى: أن الحديث يبين أن الذباب حامل لأسباب المرض وهي ما نسميه اليوم الجراثيم وهذا أصبح معروفاً منذ زمن طويل.

الثانية: أن الذباب يحمل أيضاً الدواء أو المضادات لهذه الجراثيم، وهذا الذي لا زال كثير من الناس يجهلونه، وقد بينت الأبحاث صحته، فقد تبين ما يلي:

- أن الذباب يحمل الجراثيم ثم يتكون فيه مضادات لهذه الجراثيم، وقد رأى جميع الجراحين الذين عاشوا العقد الثالث من هذا القرن بأعينهم علاج الكسور المضاعفة والقروح المزمنة بالذباب، وكان الذباب يربى لذلك خصيصاً، وكان هذا العلاج مبنياً على اكتشاف البكتريوفاج (آكلة الجراثيم) على أساس أن الذباب يحمل في آن واحد الجراثيم التي تسبب المرض والبكتريوفاج الذي يهاجم هذه الجراثيم، و لم يتوقف العلاج بالذباب بسبب فشل هذه الطريقة، وإنما بسبب اكتشاف مركبات السلفا التي اجتذبت اهتمام العلماء بشدة.
- كما لاحظ الباحثون ذلك حينما لاحظوا أن المناطق الموبوءة بالكوليرا كبنغلادش ينتشر فيها المرض أولا ويتفشى، ثم بعد فترة يبدأ الوباء بالانحسار حتى يتلاشى، برغم انعدام الرعاية الصحية، وبعد إجراء كثير من الأبحاث تبين لهم أن الذباب هو سبب الانتشار وبخاصة عن طريق مياه الشرب، وأنه هو بعد ذلك سبب نشر المضادات عن طريق مياه الشرب كذلك.
- أن الأحياء الدقيقة من بكتيريا وفطريات وفيروسات تشن الواحدة منها على الأخرى حرباً لا هوادة فيها، فالواحدة منها تقتل الأخرى بإفراز مواد سامة، ومن هذه المواد السامة بعض الأنواع التي يمكن استخدامها في العلاج، وهي ما يسمى (المضادات الحيوية) مثل البنسلين وغيره [٦٠].

- التمر وقاية وترياق:

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **من أكل سبع تمرات مما بين لابتيها حين يصبح لم يضره سم حتى يمسي** [٦١].

وقد جاء الحديث كما ترى مخصصاً لتمر المدينة المنورة -على ساكنها أفضل الصلاة وأتم السلام - وذلك لخاصية فيه، أو ببركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم، أو بهما معاً.

كما جاء في رواية البخاري تخصيص ذلك بنوع خاص وهو العجوة وبعدد معين وهو السبع، فعن سعد قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من تصبح سبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر [٦٢].

ولا شك أن بين أنواع التمر قاسماً مشتركاً، ويتميز كل نوع بخواص، ولذلك فإن في التمر بعامة فوائد، وفي عجوة المدينة المنورة بخاصة ميزات خاصة.

وقد عرف الناس منذ قديم الزمان أهمية التمر الغذائية، ولكن الحديث النبوي الشريف يبين بوضوح أهمية التمر في الوقاية من السم، وهذا ما لم يكن يعرفه أحد في العصر النبوي ولا بعده بقرون طويلة، أما في عصرنا فقد عرف العلماء أنواع السموم وكيف تعمل في الجسم وما الذي يعد وقاية وعلاجا لها.

يقرر المتخصصون الآن أن السموم أنواع، كما أن طرق التسمم متعددة، ولا مجال هنا لذكر تفاصيل ذلك، وتبين أن الجسم يتخلص من جميع المواد الاستقلابية الضارة ومن ذيفانات الجراثيم ونتائج تعفن المركبات البروتينية في الأمعاء عن طريق ربطها في الكبد ببعض المركبات، وأهم هذه المركبات حمض الغلوكورونيك الذي يصنعه الكبد من أكسدة سكر الغلوكوز الموجود في الدم أو الناتج عن تفكك مولد سكر العنب المدخر فيه، ولذلك فإن من أهم وظائف الكبد

إبطال المركبات السامة في مفهومها الواسع، وهكذا فإن سكر العنب يدخل في حمية الانسمامات المختلفة ومعالجتها، ومن أغنى الفواكه بهذا السكر التمر والعنب والتين، إذ تبلغ نسبة السكر فيه حوالي ٧٥ %، وتتعرض هذه المواد لتخمرات في الأمعاء تعاكس تفسخات المواد البروتينية وبذلك تقلل من نتائج التفسخ السامة، ولأن التمر هو المتوفر منها في الحجاز على مدار السنة أوصى به رسول الله ﷺ أن يتناول في الصباح قبل الأكل-كما في الصيام-ليتم امتصاص سكره بسرعة، ويختزن قسم منه في الكبد، مما يساعد على تخريب السموم وتعديلها [٦٣].

وهكذا فإن في الحديث النبوي سبقاً علمياً حيث يقرر أن في التمر وقاية وعلاجاً للسموم، وصدق رسول الله ﷺ. ولكنني لم أجد من ذكر ميزات طبية في عجوة المدينة حتى الآن، فلعلها لم تكتشف بعد، أو لعل ميزاتها معنوية، وإن للمعنويات أثراً بالغاً في الوقاية والشفاء، وبخاصة إذا كان ذلك مستنداً إلى عقيدة دينية راسخة [٦٤].

- العدوى:

عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: **لا عَدْوَى ولا طِيَرَةَ ولا هَامَةَ ولا صَفَرَ وَفِرَّ من الْمَجْذُومِ كما تفر من الأسد**[٦٥].

أشكل هذا الحديث على كثير من الناس قديماً وحديثاً، وقد تبين في عصر التقدم العلمي أن في الحديث إعجازاً علمياً، فقد تبين علمياً أن مجرد دخول الجراثيم إلى جسم الإنسان ليس كافياً لحدوث المرض، فإن حوالي ٩٥ % ممن تدخل الجراثيم إلى أجسامهم لا يصابون بأي مرض على الإطلاق، وحوالي ٥ % فقط تظهر عليهم أعراض خفيفة جداً تشبه نزلة البرد، وأما الذين يصابون بالمرض فهم أقل من ١ %، وهؤلاء يتغلب بعضهم على المرض دون علاج، وبعضهم يتغلب عليه بالعلاج، وبعضهم لا يتغلب عليه، فليست الجراثيم وحدها المسؤولة عن الإصابة بالمرض المعدي بل إنها غالباً تسبب المناعة، وإنما هنالك عوامل عديدة بعضها معلوم، وأكثرها مجهول، وهذا ما لم يكن يعرفه الناس، وكانوا يظنون أن الاقتراب من المريض يسبب المرض غالباً، حتى كشف العلم الحديث ما أشار إليه الحديث [٦٦].

وهكذا وبعد استعراض طائفة من الأحاديث النبوية الشريفة يتضح للقارئ أن هذه الأحاديث لا يمكن أن تكون من اجتهاد النبي ﷺ ولا من بيئته، ولا هي من علوم الطب في عصره، ولذلك فإنها لا يمكن أن تكون إلا وحياً من عند الله تعالى، وبهذا تتأكد القاعدة التي ذكرتها في بداية هذا البحث وهي: أن كل ما قاله رسول الله ﷺ وحي من الله تعالى إلا إذا جاءت قرينة كافية تدل على غير ذلك.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

النتائج

١- لم يثر أحد هذا الموضوع إلا بعد قرون من البعثة النبوية، وكان ذلك نتيجة سيطرة بعض النظريات الطبية الخاطئة التي ظن البعض أن الأحاديث النبوية تعارضها.

٢- لا فرق في مصدر الأحاديث النبوية بين مجال ومجال.

٣- كل ما قاله الرسول ﷺ فهو وحي، ما لم ترد قرينة كافية تدل على غير ذلك.

٤- لم تقع أحاديث الطب النبوي في الأخطاء الشائعة في عصر النبي ﷺ أو بيئته.

٥- في أحاديث الطب النبوي سبق علمي في مجالات متعددة.

٦- أحاديث الطب النبوي جاءت على سبيل المثال وليس الحصر.

٧- أحاديث الطب النبوي دليل جديد علمي تجريبي على صدق النبي ﷺ.

٨- الأحاديث في هذا الموضوع وحي من الله تعالى ، مثلها كمثل بقية الأحاديث.

المراجع

١- انظر مثلاً كتاب حجية السنة، للشيخ عبد الغني عبد الخالق، دار القرآن الكريم، بيروت. وكتاب السنة مصدراً للمعرفة والحضارة، للشيخ يوسف القرضاوي، مركز بحوث السنة والسير ، جامعة قطر.

٢- سورة النجم ٣،٤.

٣- أبو داود، السنن، ٢٨٦/٢، كتاب العلم، مصطفى البابي، ط ١، سنة ١٩٥٢م، والدارمي، السنن، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٦/١، رقم الحديث ٤٨٤، وأحمد، المسند، مؤسسة قرطبة، مصر، مسند المكثرين، رقم الحديث ٦٤٧٤، والحاكم، المستدرك، دار الكتب العلمية، بيروت، بتحقيق مصطفى عطا، والحديث رجاله ثقات غير عبيد الله بن الأخنس فهو صدوق.

٤- البخاري، الصحيح، دار المعرفة، بيروت، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الطب، رقم الحديث ٥٦٨٤، ومسلم، الصحيح، بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب السلام، رقم الحديث ٢٢١٧، والترمذي، السنن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بتحقيق أحمد شاكر وآخرون، كتاب الطب، رقم الحديث، ٢٠٨٢.

٥- مسلم، الصحيح، كتاب الفضائل، رقم الحديث ٢٣٦١، وابن ماجة، السنن، دار الفكر العربي، بيروت، بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الأحكام، رقم الحديث ٢٤٧٠، وأحمد ، المسند، مسند العشرة المبشرين بالجنة، رقم الحديث ١٣٩٨.

٦- صحيح مسلم، كتاب الفضائل، رقم الحديث ٢٣٦٢.

٧- المصدر السابق، رقم ٢٣٦٣.

٨- كذب تأتي هنا بمعنى أخطأ.

٩- صحيح مسلم، كتاب الحج، رقم الحديث ١٢٦٤.

١٠- السنة مصدراً ، يوسف القرضاوي ١٤.

١١- مقاصد الشريعة ٣٩، الشركة التونسية للتوزيع، طبعة ١٩٧٨م.

١٢- سورة فصلت ٥٣.

١٣- البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المناقب، رقم الحديث ٣٩٣٨.

١٤- النسائي، أحمد بن شعيب، السنن الكبرى٣٣٩/٥، دار الكتب العلمية، بيروت، رقم الحديث ٩٠٧٥، وأحمد بن حنبل، المسند ٤٩٥/١، رقم الحديث ٤٤٣٨.

١٥- البار، الدكتور الطبيب محمد علي، خلق الإنسان بين الطب والقرآن ١٨٣- ١٨٨ و ٣٩٠، الدار السعودية، جدة ، ط ٥، ١٩٨٤م، وجورنجر الدكتور الطبيب ج . س وآخرون، علم الأجنة في ضوء القرآن والسنة ص١٣ و ٢٢، هيئة الإعجاز العلمي برابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة.

١٦- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ٤٩١/١١، دار المعرفة بيروت.

١٧- النسيمي، الدكتور الطبيب محمود ناظم، الطب النبوي والعلم الحديث ٣/٣٢٧، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، ط ١، ٨٤م، والبار، خلق الإنسان ١٧٨.

١٨- مسلم، الصحيح، كتاب الحيض، رقم الحديث ٣١٥.

١٩- مسلم، الصحيح، كتاب النكاح، رقم الحديث ١٤٣٨.

٢٠- البار، خلق الإنسان ١١١، ٣٨٦.

٢١- البار، خلق الإنسان ٣٨٨، ٤٩٥، ٥٠٥ - ٥٠٩.

٢٢- مسلم، الصحيح، كتاب القدر، رقم الحديث ٢٦٤٤.

٢٣- النسيمي، الطب النبوي ٣/٣٣١، والبار، خلق الإنسان ٢٠٤، وجورنجر، علم الأجنة ٤٩.

٢٤- مسلم، الصحيح، كتاب القدر، رقم الحديث ٢٦٦٣.

٢٥- البار، خلق الإنسان ٤٠٨.

٢٦- مسلم، الصحيح، كتاب القدر، رقم الحديث ٢٦٤٥.

٢٧- المصدر السابق.

٢٨- النسيمي، الطب النبوي ٣/٣٤٢ - ٣٤٤، والبار، خلق الإنسان ٣٩٥، وجورنجر، علم الأجنة ٩٨، وبرسود، الدكتور الطبيب ت . ف . ن . وآخرون، علم الأجنة ١١٩، ١٦٩.

٢٩- البخاري، الصحيح، معلقا بصيغة الجزم، كتاب الصوم، باب سواك الرطب واليابس للصائم، وابن خزيمة، الصحيح ١/٧٠ ، رقم ١٣٥، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٧٠م، وابن حبان، الصحيح ٣/٣٤٨، رقم ١٠٦٧، الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م، مراجعة شعيب الأرناؤوط، وقال إسناده جيد، وصححه الألباني.

٣٠- القضاة، الدكتور عبد الحميد، اختصاصي علم الجراثيم، تفوق الطب الوقائي في الإسلام ١٤-١٧، المستشفى الإسلامي، ط ١، ١٩٨٧م.

٣١- البخاري، الصحيح، كتاب الوضوء، رقم الحديث ٢٤٦.

٣٢- الصاوي، الدكتور الطبيب عبد الجواد، من إعجاز القرآن والسنة في الطب الوقائي، مجلة الإعجاز، العدد الثالث.

٣٣- الصاوي، من إعجاز القرآن والسنة.

٣٤- النسيمي، الطب النبوي ١/ ١٨٤ - ١٩٠، ملخصة عن رسالة السواك للصيدلي الكيماوي صلاح الدين الحنفي.

٣٥- الشمري، الدكتور عبد الله، السواك أجر وعلاج، المجلة العربية، مارس ١٩٨٥، نقلا عن محمد كامل، الإعجاز العلمي في الإسلام ١٩.

٣٦- محمد كامل، الإعجاز العلمي في الإسلام ٢٠.

٣٧- الشطي، الدكتور شوكت، رسالة في تاريخ الطب، نقلا عن القضاة، تفوق الطب ١٥.

٣٨- البخاري، الصحيح، كتاب الجمعة، رقم ١١٤٢.

٣٩- الراوي، الدكتور إبراهيم، نقلا عن النسيمي، الطب النبوي.

٤٠- البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الطب، رقم الحديث ٥٦٨٧، ومسلم ، الصحيح، كتاب السلام، رقم الحديث ٢٢١٥، وقد أخرجه أيضاً أكثر أصحاب المصادر.

٤١- انظر ابن حجر، فتح الباري ١٠/١٤٥.

٤٢- النسيمي، الطب النبوي ٣/٢٦٤، ومحمد كامل عبد الصمد، الإعجاز العلمي في الإسلام ٨١، الـدار المصرية اللبنانية، ط ٣، ١٩٩٦م.

٤٣- بحث مقدم للمؤتمر الطبي العربي الثامن والعشرين في بيروت، نقلا عن الدكتور النسيمي.

٤٤- النسيمي، الطب النبوي ٣/٢٦٥، نقلا عن مقال للمهندس الزراعي أجود الحراكي.

٤٥- المرجع السابق.

٤٦- نجم، الدكتور الطبيب سالم، في بحث ألقاه في مؤتمر الإعجاز العلمي في موسكو عام ٩٣م.

٤٧- المرجع السابق، ومحمد كامل، الإعجاز العلمي ٨٠.

٤٨- القاضي، الدكتور الطبيب أحمد، مؤتمر الإعجاز العلمي في موسكو عام ٩٣م.

٤٩- مسلم، الصحيح، كتاب الأشربة، رقم ١٩٨٤.

٥٠- النسيمي، الطب النبوي ٢/ ٢١٣، ومحمد كامل، الإعجاز العلمي ٨٧.

٥١- البخاري، الصحيح، كتاب الطب، رقم ٥٧٢٨.

٥٢- النسيمي، الطب النبوي، ٢/٣٨١.

٥٣- مسلم، الصحيح، كتاب السلام، رقم ٢٢١٧.

٥٤- النسيمي، الطب النبوي ٣/٧٠ – ٨٢.

٥٥- ابن ماجة، السنن، كتاب الفتن، رقم الحديث ٤٠١٩، والحديث صححه الحاكم والذهبي وحسنه الألباني.

٥٦- الصاوي، الدكتور الطبيب عبد الجواد، الأمراض الجنسية الحصاد الحتمي للإباحية، مجلة الإعجاز، العدد الثـاني، *هيئة الإعجاز العلمي، مكة المكرمة.*

٥٧- معظم، الدكتوران محمد وفيصل، المرض الجديد الإيدز على ضوء القرآن والسنة، هيئة الإعجاز العلمـي، مكـة المكرمة، والقضاة، تفوق الطب الوقائي في الإسلام ٣٦، والأمراض الجنسية عقوبة إلهيـة، ومحمـد كـامل، الإعجاز العلمي ٤٤، والصاوي ، عبد الجواد، الأمراض الجنسية.

٥٨- عبد العال، الدكتور الطبيب محمد عبد المنعم، نظرات إسلامية على الأمراض الجلدية والتناسلية، نقلا عن محمـد كامل، الإعجاز العلمي ٤١.

٥٩- البخاري، الصحيح، كتاب الطب، رقم ٥٧٨٢.

٦٠- رضا، الدكتور الطبيب أمين، مناقشة هادئة في حديث الذبابة، بجلة التوحيد العدد الخامس ١٣٩٧هـ، نقلا عن جهود المحدثين في نقد متن الحديث النبوي الشريف للدكتور محمد طاهر الجوابي ٤٢١، مؤسسات ع.الكريم بن عبد الله ، تونس، والسيوطي، الدكتور محمد، معجزات في الطب، نقلا عن محمد كامل، الإعجاز العلمي٦٠.

٦١- مسلم، الصحيح، كتاب الأشربة، رقم الحديث ٢٠٤٧.

٦٢- البخاري، الصحيح، كتاب الطب، رقم الحديث ٥٧٦٩.

٦٣- النسيمي، الطب النبوي ٣/٢٩٤.

٦٤- انظر في شرح الحديث فتح الباري ١٠/٢٣٩-٢٤٠، وانظر النسيمي، الطب النبوي ٣/٢٩٥.

٦٥- البخاري، الصحيح، كتاب الطب، باب الجذام، رقم الحديث ٥٧٠٧.

٦٦- البار، الإعجاز الطبي في الأحاديث الواردة في العدوى ٤٢، هيئة الإعجاز العلمي، مكة المكرمة.